

# الكبار والصغار يتعلمون

النهج الشمولي التكاملي في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة

الجزء الأول: المفاهيم والمبادئ

## الفصل الأول

من المبادئ إلى الممارسة



## من المبادئ إلى الممارسة

### ما موضوع هذا الفصل؟

إذا تأملنا ملياً مبادئ النهج الشمولي التكاملي في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، نجدها متأصلة في علم النفس النمائي وفي حقوق الطفل. يأخذنا هذا الفصل في جولة تعرفنا على هذه المفاهيم، وتظهر لنا دورها في تدعيم أسس نهج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة. نُنهى جولتنا في هذا الفصل بعرض لكيفية ترجمة مبادئ النهج الشمولي التكاملي إلى عملٍ يهدف إلى تحسين خدمات رعاية وتنمية الطفولة المبكرة.

### علم النفس النمائي

#### ما هو علم النفس النمائي..؟

علم النفس النمائي هو دراسة التغيرات التي تحدث في سلوك الفرد بدءاً من طفولته وحتى شيخوخته، مما يمكن الدارس من فهم مسار النمو الإنساني، والتنبؤ بمراحله. إن علم النفس النمائي هو حقل دراسة حديث نسبياً، بيد أنه يستند إلى موروث فلسفي عريق، ويضم حقولاً أخرى، مثل: الطب، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الأعصاب، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا). تتجلى المساهمة العربية في ما سبق من ميادين المعرفة، في أعمال كوكبة من العلماء، أمثال: ابن خلدون، والغزالي، والفارابي، وغيرهم.

#### ... وكيف ينعكس في النهج الشمولي التكاملي

#### في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة؟

مستنداً إلى علم النفس النمائي، ينظر النهج الشمولي التكاملي إلى الطفل كفرد تتزايد قدراته باستمرار وتتعاظم، كلما حثَّ الخطى في طريق التعلّم والنمو، وهي طريقٌ تمتد مدى الحياة. من هذا المنظور، فإن سلوك الطفل هو نتاجٌ للتفاعل بين قدراته وطاقاته الكامنة وبين خبراته الحيائية، مما يؤدي إلى حدوث التعلّم الذي يصبح بدوره جزءاً من التكوين النفسي، والفكري، والاجتماعي للطفل.

إن عملية التعلّم بالخبرة هذه (أو ما دعاه الفلاسفة العرب بالعقل)، هي محور النهج الشمولي التكاملي، بدل أن يركّز النهج على أشكال التعليم التقليدية، والتي تعتمد أساسها على نقل المعرفة إلى المتعلّم من خلال تلقينه المعلومات غيباً دون أن يفهمها (النقل). إن طبيعة ونوعية التفاعل بين الطفل والبالغ هما أمران في غاية الأهمية بالنسبة لعملية التعلّم بالخبرة، إذ يتمحور دور البالغ

حول فهم العوامل المؤثرة على سلوك الطفل، وحول تيسير عملية تعلمه، في الوقت الذي تموفيه قدرات الطفل وتزايد. وفي سبيل ذلك، على البالغ أن يصبح متعلماً هو أيضاً.

يبين لنا المثال التالي كيف تتحدّد ردود فعل الطفلة بناءً على الطريقة التي يدرك بها البالغ سلوكها:

### مشكلة، أم ظاهرة من ظواهر النّمو؟

تصرّ الطفلة، ابنة السنتين، على تناول الطعام بنفسها. وهي في ذلك تستجيب بشكل طبيعي لقدرتها المتنامية على أن تكون مستقلة. بيد أن هذا السلوك قد يتعارض مع رغبة البالغ الذي يراها وذلك في توفير الوقت، وفي تجنّب الفوضى والتّوسّخ. وهو قد يفهم رغبة الطفلة في الاستقلالية على أنّها تعبير عن عنادها، فيردّ بغضب لا مبرر له. من ناحية ثانية، إذا فهم البالغ الدافع من وراء سلوك الطفلة/الطفل، أصبح قادراً على أن يخطّط مسبقاً، بحيث يوفّر الوقت الكافي للطفلة لكي تتناول طعامها بنفسها، ويجد الطرق المناسبة للتقليل من التّوسّخ.

## مفوق الطفل

### ما هي حقوق الطفل؟

تتعامل اتفاقية حقوق الطفل<sup>1</sup> مع الطفل باعتباره "ذاتاً" صاحبة حقوق، وهذا مفهوم حديث نسبياً. إن معظم الناس (حتى الذين يعملون في تنمية وتربية الطفولة) يميلون إلى الاعتقاد بأن الطفل كائن ذو حاجات يجب تلبيتها، وهذا ما تقرّه الاتفاقية، لكنّها تتجاوزه إلى إرساء مفهوم الحقوق. فبعد أن قامت الاتفاقية بعرض ما يحتاجه الطفل من أجل أن يعيش وينمو بكل ما فيه من طاقات وقدرات، نصّت هذه الحاجات في بنود (أو موادّ) يمثل كلٌّ منها حقاً واحداً. وبذا حدّدت الاتفاقية واجبات "الأخر" (أي الدولة، والمجتمع المدني، والمجتمع المحلي) وألقت عليه مسؤولية إعمال هذه الحقوق على نحو يشمل كلّ الأطفال بدون تمييز.

حقوق الطفل هي حقوق عالمية، بمعنى أنّها تنطبق على كلّ طفل من أطفال العالم، وفي الوقت نفسه، نراها تبرز أهمية التّنويع الثقافي بينهم.

تضمّ الاتفاقية مجموعة من المعايير العالمية، تلتزم جميع الدول باتّباعها. وهي تعكس منظوراً جديداً للطفل، ينفي بأن يكون الطفل أحد "ممتلكات" الأهل، أو كائناً "عاجزاً" يثير الشفقة. بدل ذلك، تنظر الاتفاقية إلى الطفل على أنّه فردٌ متميّز، وعضوٌ في الأسرة وفي المجتمع، وصاحب حقوق ومسؤوليات تتناسب مع عمره، ومع مستوى نضجه. إن إدراك حقوق الطفل على هذا النحو يُبرز بقوة، كلاًّ (أي الطفلة) (أي المفهوم بأن "كل" الطفل كياناً واحداً موحد)، وهو يُضفي الصفة "القانونية" على الحاجات، فتغدو الحاجات حقوقاً ملزمة، بعد أن كانت موضوعاً قابلاً للتفاوض في السابق. لم يعد الطفل، إذاً، مجرد متلقٍ سلبي "لعطايا" الكبار، بل أصبح "ذاتاً" متميّزة صاحبة حق.

<sup>1</sup> جرى إعلان اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩ وصادقت عليها جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة باستثناء دولتين، هما الولايات المتحدة والصّومال. والاتفاقية ذات صلة بمواثيق حقوق عالمية أخرى، من ضمنها: ١٩٤٨ مواثيق حقوق الإنسان ١٩٦٩ الميثاق العالمي للقضاء على كافة أشكال التمييز العنصري ١٩٧٨ الإعلان العالمي عن «الصّحة للجميع»-أنا آتأ ١٩٨١ الميثاق العالمي للقضاء على كافة أشكال التمييز ضدّ النساء ١٩٨٩ الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل ١٩٩٠ الإعلان العالمي عن «التعليم للجميع» - جومتين/تايلنده ١٩٩٤ المؤتمر العالمي حول التربية الخاصة - سلامنكا/اسبانيا



كلانية: Wholesome

المصدر:

<http://www.unicef.org>

... لا تنفصل حقوق الطفل عن غيرها، إذ إنَّها في صلب حقوق الإنسان الأساسية التي تقرّ بوجوب أن يعيش جميع الناس، ومن ضمنهم الأطفال، بكرامة. فلم يعد من الممكن بعد اليوم التعامل مع حقوق الطفل كمسألة خيار، أو كمعروف تقدمه للطفل، أو كتعبير عن حسنة أو صدقة. إنَّ الحقوق تولد الالتزامات والمسؤوليات، وعلينا جميعاً أن نراعيها، وأن نحترمها

## ما هي «الركائز» الأربع لاتفاقية حقوق الطفل؟

- ✓ حق الطفل في البقاء والنمو (المادة ٦): عدا عن أنَّها تعبّر عن حقٍّ أساسيٍّ، تلخّص هذه المادة الأهداف العامة للاتفاقية.
- ✓ حق الطفل في عدم التمييز (المادة ٢): تنصّ هذه المادة على أنَّ اتفاقية حقوق الطفل تنطبق على كلّ الأطفال بدون استثناء، بغضّ النظر عن أصولهم القوميّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة، أو عن أوضاعهم المعيشيّة.
- ✓ حق الطفل في المشاركة (المادة ١٢): للطفل الحق في التعبير عن رأيه بحرية في جميع المسائل التي تمسّه، وفقاً لسنّه ومستوى نضجه. وله الحق في أن يُحترم رأيه.
- ✓ مبدأ «المصلحة الفضلى» للطفل (المادة ٣): يجب وضع مصلحة الطفل في الاعتبار الأول عند اتّخاذ أيّ إجراءٍ يتعلّق به، ويؤثّر في حياته.

يوضّح الرّسم التالي كيف تعزّز مبادئ «المشاركة» و«عدم التمييز» و«المصلحة الفضلى» بعضها البعض، ويبرز دورها الأساسي في أيّ إجراء يهدف إلى إعمال حقّ الطفل في «البقاء والنمو»:

### مثلث حقوق الطفل:



«عدم التمييز» (المادة ٢)

## كيف تنعكس حقوق الطفل في النهج الشمولي التكاملي؟

إنّ جذور النهج الشمولي التكاملي متأصلة في مفهوم حقوق الطفل. وتشكّل اتفاقية حقوق الطفل إطاراً مرجعياً لقراءة حاجات الأطفال النمائية، ولتهيئة البيئة والظروف الضرورية من أجل تحسين نوعية الموارد والبرامج الخاصة برعاية وتنمية الطفولة المبكرة.

مثلما تسري اتفاقية حقوق الطفل عالمياً، وتترجم محلياً إلى عمل ملموس، كذا الحال بالنسبة للنهج الشمولي التكاملي. فهو يستقي روحه من رؤيا كونية شاملة لرعاية وتنمية الطفولة المبكرة، فيما يستجيب في تطبيقه إلى الحاجات الخاصة بالمجتمع المحلي، ويستند إلى الخبرات والمهارات المحلية. هذا الأمر مهم جداً، إذ إنّ العُرف الثقافي السائد في مجتمع ما يرسم، إلى حدّ كبير، نظرة المجتمع إلى الطفولة، ويحدّد مسؤوليات الكبار في البيت، وفي المؤسسة، وفي المجتمع المحلي تجاه الأطفال.

كذلك، تؤثر الثقافة المحلية على أولويات الحكومات في تحديد السياسات الاجتماعية، والخدمات التي ينصّ عليها القانون، والتشريعات، والميزانيات، والموارد المختلفة.

### «فكر بالطفل»

«فكر بالطفل»<sup>(9)</sup> هو تعبيرٌ يتكرّر في هذا الدليل. وقصدنا من استخدامه أن نذكّر الكبار بأن يُبقوا في بالهم الطبيعة الشمولية للطفل، بالرغم من أنّهم قد يتعاملون، في وقت ما، مع جانب واحد من حياة الطفل. يتّصل هذا التعبير اتّصلاً وثيقاً بمبدأ «مصلحة الطفل الفضلى» (المادة ٣ في اتفاقية حقوق الطفل)، وهو المبدأ الذي يذكّرنا بأنّه حين نأخذ قراراتٍ تؤثر في حياة أطفالٍ معيّنين، أو في حياة الأطفال عموماً، علينا أن نأخذ بالحسبان الأثر المحتمل لهذه القرارات على الجوانب المختلفة لحياة الأطفال، سعياً إلى ضمان «مصلحتهم الفضلى».



### «فكر بكلّ الأطفال»

وهو تعبير آخر يتردّد في الدليل. «فكر بكلّ الأطفال» يقترح الجرس في أذهاننا، ويذكّرنا بأنّ الحقوق تسري على كلّ الأطفال بدون تمييز، وبغضّ النظر عن سنّهم، قدراتهم، جنسهم، ديانتهم، أو أصولهم الثقافية. وعليه، فحين نخطط برامج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، علينا التأكّد من أنّها تشمل هؤلاء الأطفال الذين غالباً ما نغفل عن رؤيتهم، وعن سماع صوتهم، مثل: الفتيات، الأطفال المعوقين، الأطفال الصغار، والأطفال الفقراء وأصحاب الحاجات الخاصة. نشير إلى أنّ هذا التعبير يتّصل اتّصلاً وثيقاً بمبدأ «عدم التمييز» (المادة ٢ في اتفاقية حقوق الطفل).

## • خصائص النهج الشمولي التكاملي

### كيف يكون هذا النهج "شمولياً"؟

نصف هذا النهج بأنه "شمولي"، لأنه ينسجم مع النظرة إلى الطفل "ككيان واحد موحد"، تشكل مجموعة من الحاجات والخصائص والخبرات، هي جميعها مهمة من أجل نمو وتطور الطفل الذاتي.

لعل النص الأدبي التالي يوضح كيف يتعلم الأطفال من خلال خبراتهم المختلفة، وكيف أنّ للمشاعر دوراً في هذا المسار لا يقل أهمية عن دور الحواس، والفكر، والسلوك:

يتعلم الأطفال ما يعيشونه



إذا انتقدنا الطفل باستمرار، يتعلم أن يُدين الآخرين

إذا تعاملنا مع الطفل بعدائية، يتعلم أن يشهر العنف سلاحاً

إذا استهزأنا بالطفل، يتعلم أن يخجل من نفسه

إذا أشعنا الطفل بالخزي، يتعلم أن يشعر بالذنب

إذا تسامحنا مع الطفل، يتعلم أن يصبر

إذا شجعنا الطفل، يتعلم أن يثق بنفسه

إذا أثنيينا على الطفل، يتعلم أن يتمن ما يعيشه

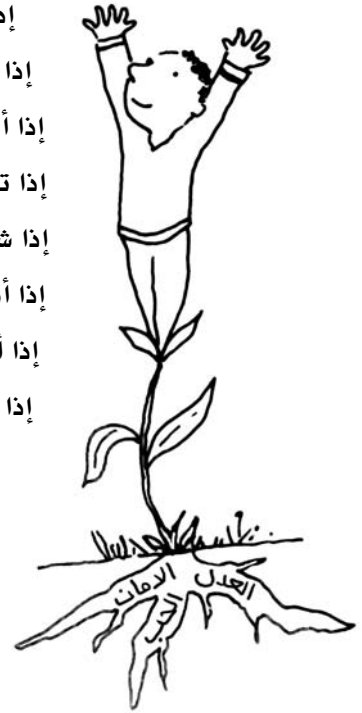
إذا أنصفنا الطفل، يتعلم أن يعدل

إذا أحطنا الطفل بالأمان، يتعلم أن يؤمن بنفسه وبالحيوة

إذا عبرنا للطفل عن استحساننا، يتعلم أن يحب ذاته

إذا تقبلنا الطفل وصادقناه، يتعلم أن يكتشف كنوز الحب في

هذا العالم



دوروثي لونايت \*

Dorothy Law Neite \*

إذا، التعلّم هو العيش بحدّ ذاته، وما يتولّد عنه من أفعال الطفل، وأفكاره، ومعتقداته. والتربية هي مسار أو عمليات يسهّلها الكبار من خلال أفعالهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم الواعية، فيما هم يساندون تعلّم الأطفال. في غمرة مسار كهذا، يواصل الكبار التعلّم عن أنفسهم، وعن الأطفال، وعمّا هو مهمّ في الحياة. يتأتّى لهم ذلك من خلال:

الملاحظة

الإصغاء

رسم توقّعات واقعية من أنفسهم، ومن الطفل

- ✓ رعاية الطفل بدون شروط
- ✓ احترام الطفل وتقديره
- ✓ تحدّي أنفسهم بأن يكونوا أفضل ما يمكنهم أن يكونوه
- ✓ إيصال معتقداتهم الحقيقية إلى الأطفال
- ✓ التصرف بمرونة
- ✓ مساندة الأطفال في تحمّل مسؤوليات خياراتهم

## كيف يكون هذا النهج «تكاملياً»؟

عندما نفهم الطبيعة الشمولية للطفل، وندرك حاجاته المتنوعة والمتداخلة، تتضح لنا ضرورة وأهمية التكامل في الخدمات والموارد المتعلقة بالأطفال. تُقرّ الخدمات التكامليّة بمُجمَل حاجات الطفل الفرد، في الوقت الذي تستجيب لحاجة عينيّة لديه.

### ما هو التعبير العملي لهذا المفهوم؟

كي نوضّح كيف تتكامل الخدمات في الواقع، نسوق مثلاً من مجال الصّحة. هنالك إجماعٌ على أنّ الهدف الأساسي لوحدة الرعاية الصّحيّة الأوليّة هو الاهتمام بحاجات الأطفال الصّحيّة. لكنّ هذا لا يمنع الالتفات أيضاً إلى الحاجات التربويّة والترفيهيّة للأطفال الذين ينتظرون دورهم لزيارة الطبيبة أو الممرضة، وتوفير فرص لعب لهم. يمكن أن تشكّل فرص اللعب هذه وسيلة ممتازة لنقل معلومات مفيدة إلى الطفل وإلى الكبار عمّا تشمله زيارة الوحدة. تضع وثيقة حقوق الطفل الأساس للطبيعة التكامليّة لبرامج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، من خلال إلقاء الضوء على حقّ كلّ طفل في:





## مبادئ النهج الشمولي التكاملي في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة

### ما مصدر هذه المبادئ؟

شهد العقد الماضي انطلاقاً مسار جمعي في ورشة الموارد العربية، شارك فيه عددٌ من الأفراد والهيئات العاملة في الطفولة المبكرة وفي حقوق الطفل في العالم العربي. طوّر هذا المسار مجموعة مبادئ<sup>٢</sup>، وعددها ١٤ مبدأً (نجدها في الصفحة التالية)، شكّلت الأساس المرجعي للنهج الشمولي التكاملي في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة.

### ماذا تخدم هذه المبادئ؟

تشكّل هذه المبادئ الإطار المفاهيمي للنهج، والذي يساعد العاملين وواضعي السياسات في قراءة واقع الطفولة في مجتمعاتهم، وفي تحسين خدمات وموارد رعاية وتنمية الطفولة المبكرة عن طريق:

<sup>٢</sup> استندت هذه المبادئ في الأصل إلى المبادئ العشرة الواردة في كتاب تينا بروس. وقد تبناها المشاركون في المسار الجمعي لورشة الموارد العربية (في السنوات ١٩٩٨، ١٩٩٧، ١٩٩٨)، وطوّروها في ورشات عمل لتلائم واقع الطفولة العربي. راجع المصادر.

تحسين ممارسات رعاية وتنمية الطفولة المبكرة في البيت، وفي المؤسسة، وفي المجتمع المحلي.  
تعزيز البرامج النوعية في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، من أجل إغناء حياة الأطفال والكبار الذين يعيشون ويعملون معهم.  
المناداة بتوجّهٍ جديد نحو الطفل، ونحو طفولة أفضل.  
سوف نستكشف لاحقاً كيف يمكن أن تساهم هذه المبادئ الأربعة عشر في تيسير المسارات السابقة. ولكن، دعونا في البدء نلقي نظرة على هذه المبادئ:

## المبادئ الأربعة عشر للنهج الشمولي التكاملي



## المبادئ الثلاثة الأساسية

تشكّل المبادئ الثلاثة الأولى الركائز الأساسية للنهج الشمولي التكاملي، لذا يجدر بنا إيفاءها بعض حقّها من التفصيل:

١. الطفل كيانٌ واحدٌ موحدٌ، مهمٌّ بكافة جوانبه، حيث يتأثر كل جانبٍ بالجوانب الأخرى، ويؤثر فيها:

يتضمّن هذا المبدأ ملخصاً لمجمل النهج الشمولي التكاملي. فإدراك الطبيعة الشمولية للطفل يتطلب مشاركة عدد من الأطراف المساندة لنموّ الطفل، وهذا يعني الحاجة إلى: التدريب، وتعزيز ونشر الممارسات النوعية في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة داخل المجتمع المحلي، والمناداة بتحسين السياسات التي تؤثر على الأطفال الصغار.



الطفولة مرحلة عمرية قائمة ومتكاملة في حد ذاتها، ومن حق كل طفل أن يحيا طفولته بكاملها. (روضة العيزرية-القدس)

٢. الطفولة مرحلة عمرية قائمة ومتكاملة في حد ذاتها، ومن حق الطفل وحاجته أن يحياها بكاملها:

في الماضي، كان الناس يعتبرون الطفولة مرحلة تحضيرية "للحياة" - الحياة كما ترسمها ريشة الكبار طبعاً لكنّ النصف الثاني من القرن العشرين شهد تحوّلاً جذرياً في المواقف تجاه الطفل والطفولة (ووجد له تعبيراً عام ١٩٨٩ في اتفاقية حقوق الطفل). لقد أصبحنا نعتبر الطفل فرداً قائماً بذاته، ونعتبر الطفولة مرحلة مهمة من مراحل الحياة.

يستند النهج الشمولي التكاملي إلى هذا المنظور الجديد للطفل وللطفولة، فيقرّ بالحاجة إلى مساندة الوعي الناشئ لدى الطفل بطاقاته الكامنة، وفهمه المتنامي لحقوقه وواجباته ضمن سياقه الاجتماعي.

٣. يحدث النمو في "خطوات متسلسلة" يمكن التنبؤ بها، تتخللها فترات تكون فيها جاهزية الطفل للتعلم في أوجها:

هذا المبدأ مشتق من علم النفس النمائي (راجع مدخل هذا الفصل). فالنهج الشمولي التكاملي يقوم على فهم ومساندة كل مرحلة من مراحل نمو الطفل وتطوره. حين نأتي إلى وضع الأهداف، وتخطيط العمل، وتحديد المؤشرات لتنفيذ العمل، فمن الضروري أن نحدّد المرحلة أو المراحل التي ينبغي أن نساندها في نمو وتطور الطفل، إذ يساعدنا ذلك في تيسير عملية نمو وتطور الطفل في هذه المرحلة.

### مجموعة المبادئ (١): "الطفل والطفولة"

على الرغم من أنّ المبادئ الثلاثة الأساسية تتسجم معاً لتكوّن مجموعة منفصلة (المجموعة ١)، إلاّ أنّها "تحمل" باقي المبادئ التي تمّ تصنيفها في مجموعتين أخريين. تشكّل المبادئ الباقية خطوطاً عريضة يمكن اشتقاق معايير العمل والمؤشرات منها.

### مجموعة المبادئ (٢): "الطفل والبيئة"

تتصل مبادئ هذه المجموعة ببيئة الطفل. ونعني بالبيئة: أسرة الطفل، والكبار الآخرين في المجتمع المحلي الذين يتولّون رعاية الطفل، والعوامل الثقافية، والاقتصادية-الاجتماعية التي تؤثر في حياة الطفل. تشكّل هذه المبادئ إطاراً مرجعياً لتخطيط وتقييم العمل الذي يهدف إلى تطوير بيئة غنيّة وحاضنة للطفل الصغير.

### مجموعة المبادئ (٣): "الطفل والبرامج"

تتصل مبادئ هذه المجموعة بنوعية البرامج التي صمّمت من أجل تحسين رعاية وتنمية الطفولة المبكرة. تقوم هذه البرامج على إشراك الأطفال مباشرة، أو إشراك الكبار في الدرجة الأولى، لكنّها تهدف جميعاً إلى تحسين رعاية وتنمية الطفولة المبكرة.

## كيف نستخدم المبادئ؟

### كيف يمكننا أن نستخدم المبادئ في عملنا من أجل تحسين رعاية وتنمية الطفولة المبكرة؟

يعرض الجزء الثاني من هذا الدليل ٢٧ موضوعاً، يمكننا أن نختار منها ما يناسب عملنا. وهي تساعدنا في القيام بعملیات تتصل بعملنا وبرامجنا مثل: المراجعة، والتأمل، وقياس الحاجات، والمراقبة، والتطوير، وتنظيم الحملات من أجل الحث على التغيير. وفي كل هذه العمليات، فإن تحديد المبادئ الداعمة لقراراتنا من شأنه أن يساعدنا في مقارنة العمل على رعاية وتنمية الطفولة المبكرة على نحو منهجي ومدرّس.

نستعرض فيما يلي عدداً من الأمثلة عن كيفية استخدام هذه المبادئ من أجل وضع مؤشرات تخدم أهدافنا المختلفة:

#### المثال (١): مراجعة ممارسات قائمة في رعاية وتنمية الطفولة المبكرة

قررت مديرة الروضة "س" والطاقم العامل معها تخصيص الأيام التدريبية خلال عطلة هذه السنة لمراجعة وتأمّل عملهم مع أطفال الرابعة وحتى السادسة في الروضة. ومرّد ذلك، طلباتٍ تقدّم بها الأهل لإدخال ثلاثة أطفال ذوي إعاقات جسدية إلى الروضة.

إختار طاقم الروضة المبادئ التي تركّز على بيئة الطفل الداخلية والخارجية، وعلى النسبة بين عدد الكبار وبين عدد الأطفال في الروضة، وعلى التخطيط المرن للمناهج ولغرفة الصف من أجل تلبية الحاجات المختلفة للأطفال. إختار الطاقم المبادئ التالية:

- ✓ يحدث النمو في خطوات متسلسلة
- ✓ التفاعل مع الآخرين يحفّز عملية التعلم
- ✓ تطوّر الطفل هو تفاعل ما بين قدراته الذاتية وبين بيئته
- ✓ نقطة الانطلاق هي ما يقدر الطفل على القيام به
- ✓ تقدير دور الوالدين، وأفراد الأسرة الموسّعة، والجماعة الراعية من منظور العُرف المحلي

قرّر طاقم الروضة أن يشرك المجموعات التالية في عملية المراجعة: عائلات الأطفال، العاملين المحليين في مجال التأهيل المجتمعي، ممثلين عن المدرسة المحلية، والأطفال أنفسهم. يأمل الطاقم أن يعزّز هذا العمل الشراكة مع الأهل، بهدف تهيئة الأطفال لدخول الروضة، وتسهيل تأقلمهم في الفترة الأولى لدخولهم، وتعزيز قيمة اللعب والتعلّم النشط<sup>(١)</sup>.

#### المثال (٢): مراجعة برامج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة

يقع تجمع الهيئات الأهلية العاملة في الطفولة المبكرة في إحدى ضواحي المدينة، وهو يقدم خدماته للأطفال المحليين والأطفال اللاجئين. تخطط الهيئات الأهلية لتنظيم سلسلة من ورشات العمل ليوم واحد، من أجل التدارس في كيفية تحويل نهج العمل المتبع في الروضات (التابعة لهذه الهيئات) إلى نهج أكثر تكاملية وشمولية. فالنهج الحالي يركّز على تهيئة الأطفال لدخول المدرسة (بناءً على طلب الأهل والمدارس المحلية).



التعلّم النشط  
أو الناشط:  
Active Learning

نراجع القاموس المشروح.

يمكن هنا، على سبيل  
المثال مراجعة المواضيع  
التالية: ٧ (مصلحة الطفل  
الفضلّي) و١١ (البيئة المثريّة  
والداعمة) و١٢ (احترام  
الطفل) و١٧ (أولويات  
البرامج) و١٩ (مراجعة  
برامج رعاية وتنمية  
الطفولة المبكرة) و٢١  
(مساندة كل الأطفال)

يطمح منظّمو الورشات إلى تشجيع العاملات في الروضات على الابتعاد عن النهج "التدريسي" للأطفال، والاقتراب أكثر من النهج "التعلّمي" الذي يخاطب الحاجات الأوسع للأطفال، لا سيّما وأنّ عائلات الأطفال تصارع يومياً الضغوط الاقتصادية المتزايدة، ممّا يؤدي إلى تسرب الأطفال من المدرسة مبكراً.

إختار المنظّمون المبادئ التالية:

- ✦ الطفل كيانٌ واحدٌ موحدٌ، مهمٌّ بكافة جوانبه.
- ✦ تزدهر "الحياة الداخلية" للطفل في الظروف المناسبة.
- ✦ الضبط الذاتي.
- ✦ تفاعل الطفل مع الأشخاص (كباراً وصغاراً) يحفّز عملية التعلّم لديه.

توفّر هذه الورشات فسحةً للقاء الأهل، والقادة المحليين، والجهات المختلفة العاملة في تربية الطفولة المبكرة في المجتمع المحلي، من أجل استكشاف طرقٍ للعمل سوياً على قضايا عامّة تتصل بحياة الأطفال الصغار داخل مجتمعٍ يتميّز بالتنوع. وهي فرصة أيضاً من أجل التباحث في طرق تحسين الروضات، وفي الطرق الكفيلة بالوصول إلى الأطفال المعرضين للأذى، والذين غالباً ما يُحرمون من الوصول إلى الروضات.

المثال (٣): تنظيم حملة

تقوم مجموعة من طلاب الجامعة الذين يدرسون للحصول على اللقب الأول في تربية الطفولة

المبكرة بإعداد مشروع يتلخّص في تنظيم حملة

تهدف إلى توعية الجمهور بأهميّة السنوات

الأولى من حياة الطفل، وإلى الضغط

على صناع القرار من أجل إقرار

تشريعات تدعم الممارسات التوعوية

لرعاية وتنمية الطفولة المبكرة في

البيت، وفي المؤسسة، وفي

المجتمع المحلي.

تُدرك المجموعة جيّداً أنّ بعض

الممارسات الشائعة في العُرف

الثقافي المحلي من شأنها أن تُغني أسس حياة الطفل، وهويّته. وهي تُدرك أيضاً وجود بعض

الممارسات الشائعة في البيت، أو في المؤسسات، أو في المجتمع المحلي، التي قد تُؤخّر أو حتّى

تُعيق نمو الطفل، خاصةً إذا كان الطفل من فئة الأطفال المهمشين "غير المرئيين"، أو ممّن لا

صوت لهم في المجتمع.

إستندت المجموعة إلى المبادئ التالية من أجل تنظيم الحملة:

- ✦ الطفولة مرحلة عمرية قائمة ومتكاملة في حدّ ذاتها.
- ✦ من المهمّ تبيين الفروق الفردية بين الأطفال، والاحتفاء بها.
- ✦ تقدير واحترام دور الوالدين، و/أو عند الحاجة، دور أعضاء الأسرة الموسّعة أو الجماعة
- ✦ الراعية في منظور العُرف المحلي.



#### المثال (٤): تحسين ممارسات رعاية وتنمية الطفولة المبكرة في البيت

يلتقي العاملون في مجالات الصحة، والتأهيل المجتمعي، والعمل المجتمعي، ومربيّات الأطفال في الروضة للمشاركة في يومٍ تدريبيّ يتناول موضوع اللعب وقيّمته، وطرق استخدامه كأداة مفيدة تساند الأهل (وغيرهم من الرّاعين للطفل) في التّعامل مع أطفالهم في الظروف الصّعبة.

إنطلقت المجموعة من المبادئ التالية:

✦ يحدث النّمّو في «خطوات متسلسلة».

✦ تفاعل الطفل مع الأشخاص (كباراً وصغاراً) يحفّز عملية التّعلّم عند الطفل، وينشّطها ويشجّعها ويدعمها.

✦ «الدّافعية الدّاخلية» للطفل أمرٌ مهمٌّ في تحقيق مختلف جوانب شخصيّته.

تُبرز المبادئ الثلاثة السّابقة أهمّية تفاعل الطفل مع أهله، ومع الكبار الآخرين في سنوات حياته الأولى. وتشدّد على أهمّية اللّعب في نموّ الطفل وتعلّمه، وعلى إمكانيّة إتاحتها للطفل حتّى لو كان يعيش في ظلّ ظروفٍ صعبة.

## خصائص البرنامج الشمولي التكاملي لرعاية وتنمية الطفولة المبكرة

إنّ برامج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة التي تركز إلى المبادئ العامّة السّابق ذكرها (والتي يطبّقها كبارٌ قد استدخلوا النهج الشمولي التكاملي) يجب أن تحمل الخصائص التالية:

### البرامج العاملة مع الأطفال

على البرامج العاملة مع الأطفال الصغار مباشرةً أن:

- تضمن سلامة الأطفال، وتلبية حاجاتهم الأساسية وحقوقهم على نحو مناسب.
- تضمن الدمج والتكامل في البرامج والخدمات المقدّمة للأطفال الصغار، وتكاملها.
- تضمن مشاركة الوالدين و/أو الرّاعين الآخرين للطفل.
- تتعامل مع حاجات الطفل النّمائيّة بمُجملها.
- تدعم التطور في تطوّر مفهوم الطفل عن ذاته.
- تحفّز "الدّافعية الدّاخلية" عند الطفل للتعلّم.
- ترعى وتُثري "الحياة الدّاخلية" للطفل.
- تدعم تطوّر "الضبط الدّاتي" لدى الطفل.
- تشجّع الطفل على أن يتساءل، ويكتشف، ويتفحّص بيئته (الطبيعيّة، والمادّية، والاجتماعيّة، والنّقافيّة)
- تساند الطفل في استكشاف "موارده الدّاخلية"، وفي تطويرها إلى أقصى درجة ممكنة.
- تتمّي لدى الطفل الحسّ بحقوقه وبمسؤوليّاته تجاه نفسه، وتجاه بيئته ومجتمعه المحليّ.

مثل هذه البرامج يمكن أن تشمل:

- برنامج رعاية منزليّة نهارية للأطفال دون سنّ الثالثة.
- برنامج منزليّ للتأهيل المجتمعي للرّضع وللأطفال ذوي الحاجات الخاصّة.
- حضانة للأطفال الأمّهات المشاركات في دورات دراسيّة أو تدريبيّة.
- برنامج طوارئ يعمل مع الأطفال والعائلات في مخيمّ اللاجئيين.
- روضات أطفال.
- نوادي ما بعد المدرسة للأطفال المعرّضين لخطر التسرّب من المدرسة قبل بلوغهم العاشرة.

### البرامج العاملة مع الكبار

- من أجل أن تساهم البرامج العاملة مع الكبار (مثل: الأهل، والعاملين مع الأطفال، والنّاس عامّة) في تحسين رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، عليها أن:
- تُقرّر بحاجة الكبار إلى أن يتفحّصوا ويفهموا مشاعرهم الخاصّة المتعلّقة بأدوارهم كمرّبين
- يعيشون مع الأطفال الصغار ويعملون معهم.
- تساند الكبار في فهم الخصائص النّمائيّة للطفل، وفي فهم حاجات الطفل ودوافعه





المنالية- كونها  
في متناول،  
وقدرة الشخص المعني  
بالوصول إليها.

السلوكية في كل مرحلة من مراحل نموه.  
تساند الكبار في إيجاد طرقٍ لخلق التوازن بين حاجاتهم الخاصة، وبين حاجات الأطفال  
الذين يعيشون أو يعملون معهم.  
تتعامل مع مسألة "منالية"<sup>(9)</sup> الموارد والخدمات، أي تضمن سهولة وصول الكبار إليها أينما  
كانوا، وأياً كانت حاجاتهم.

هذه البرامج يمكن أن تشمل:  
حملات التوعية بمسائل معينة.  
البرامج التدريبية الخاصة بالمدرّبين المهنيين، أو بمساعدي المدرّبين في مجال رعاية  
وتنمية الطفولة المبكرة.  
الأنشطة التدريبية لمقدمي الرعاية للطفل، وللعاملين معه.  
تطوير المواد والموارد الخاصة بالصغار والكبار.  
بناء الشبكات والشراكات من أجل تحسين الممارسات والسياسات الخاصة برعاية وتنمية  
الطفولة المبكرة.



البرنامج الشمولي التكاملي يلبي حاجات الصغار والكبار (مهرجان مركز سيتي، مصر)

